

النهاية في غريب الأثر

{ حرث } (ه) فيه [احرث لدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعْرِيشُ أَبَدًا] واعملْ لآخرتك كأنك تَمُوتُ غَدًا] أي اعْمَلْ لدُنْيَاكَ فَخَالَفَ بَيْنَ الْفُطَيَيْنِ . يقال حَرِثْتُ وَاحْتَرِثْتُ . والظاهر من مَفْهُوم لفظِ هذا الحديث : أَمَّا في الدنيا فَلِلْآخِرَةِ عَلَى عِمَارَتِهَا وبقاء الناس فيها حتى يَسْكُنَ فيها وَيَنْتَفِعَ بها من يَجِيءُ بعدك كما انْتَفَعَتْ أَنْتَ بَعَمَلٍ من كان قبلك وَسَكَنْتَ فيما عَمَرَهُ فَإِنَّ الإنسان إذا عَلِمَ أَنَّهُ يَطُولُ عُمُرُهُ أَحْكَمَ مَا يَعْمَلُهُ وَحَرَصَ عَلَى مَا يَكْسِبُهُ وَأَمَّا في جانب الآخرة فإنه حَثٌّ عَلَى إِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَحُضُورِ النَّيَّةِ وَالْقَلَابِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا فَإِنَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ غَدًا يَكْثُرُ مِنْ عِبَادَتِهِ وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ . كقوله في الحديث الآخر [صَلِّ صَلَاةَ مُوَدَّعٍ] .

قال بعض أهل العلم : المراد من هذا الحديث غَيْرُ السَّابِقِ إِلَى الْفَهْمِ مِنْ طَاهِرِهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا نَدَبَ إِلَى الزُّهُدِ فِي الدُّنْيَا وَالتَّقْلِيلِ مِنْهَا وَمِنْ الْإِزْهَامِ فِيهَا وَالِاسْتِمْتَاعَ بِلَذَّاتِهَا وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا فَكَيْفَ يَحْثُّ عَلَى عِمَارَتِهَا وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَإِنَّمَا أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الإنسان إذا عَلِمَ أَنَّهُ يَعْرِيشُ أَبَدًا قَلَّ حِرْمُهُ . وَعَلِمَ أَنَّ مَا يُرِيدُهُ لَنْ يَفُوتَهُ تَحْصِيلُهُ بِتَرْكِ الْحِرْصِ عَلَيْهِ وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ فَاتَنِي الْيَوْمُ أَدْرَكَتُهُ غَدًا فَإِنِّي أَعِيشُ أَبَدًا فَقَالَ E : اعْمَلْ عَمَلٍ مِنْ يَطْنُ أَنَّهُ يُخْلَدُ فَلَا يَحْرِصُ فِي الْعَمَلِ فَيَكُونُ حَذًى لَهُ عَلَى التَّكْلِيلِ وَالتَّقْلِيلِ بِطَرِيقَةٍ أُنِيقَ مِنَ الْإِشَارَةِ وَالتَّذَنُّبِ وَيَكُونُ أَمْرُهُ لِعَمَلِ الْآخِرَةِ عَلَى طَاهِرِهِ فِيَجْمَعَ بِالْأَمْرِ يَنْحَالَةً وَاحِدَةً وَهُوَ الزُّهُدُ وَالتَّقْلِيلُ وَلَكِنْ بِلَفْطَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ . وقد اختَصَرَ الْأَزْهَرِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ : مَعْنَاهُ تَقْدِيرُ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَأَعْمَالِهَا حِذَارَ الْمَوْتِ بِالْفَوْتِ عَلَى عَمَلِ الدُّنْيَا وَتَأْخِيرُ أَمْرِ الدُّنْيَا كَرَاهِيَةِ الْإِشْتَغَالِ بِهَا عَنْ عَمَلِ الْآخِرَةِ .

(ه) وفي حديث عبد الله [احرثُوا هذا القرآن] أي فَتَشْؤُهُ وَثَوْرُوه . والحرث : التَّغْيِثُ .

(ه) وفيه [أَمْدَقُ الْأَسْمَاءِ الْحَارِثُ] لِأَنَّ الْحَارِثَ هُوَ الْكَاسِبُ وَالْإِنْسَانُ لَا يَخْلُو مِنَ الْكَسْبِ طَبْعًا وَاخْتِيَارًا .

[ه] ومنه حديث بَدْر [اخْرُجُوا إِلَى مَعَايِشِكُمْ وَحَرَائِثِكُمْ] أي مَكَّاسِبِكُمْ

وَاحِدُهَا حَرِيْثَةٌ . قَالَ الْخَطَّابِيُّ : الْحَرَاثُ : أَنْضَاءُ الْإِبِلِ وَأَصْلُهُ فِي الْخَيْلِ إِذَا هُزِلَتْ فَاسْتُغِيرَ لِلإِبِلِ وَإِنْ مَا يُقَالُ فِي الْإِبِلِ أَحْرَفَ فَنَذَاهَا بِالْفَاءِ . يُقَالُ نَاقَةٌ حَرَفٌ : أَيْ هَزِيلَةٌ . قَالَ : وَقَدْ يُرَادُ بِالْحَرَاثِ الْمَكَسِبُ مِنَ الْاِحْتِرَاثِ : الْاِكْتِسَابِ . وَيُرْوَى [حَرَاثِكُمْ] بِالْحَاءِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدةِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ .

(س) وَمِنْهُ قَوْلُ مُعَاوِيَةَ [أَنَّهُ قَالَ لِأَنْصَارٍ : مَا فَعَلْتُمْ نَوَاضِحُكُمْ ؟] قَالُوا : حَرَثْنَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ [أَيْ أَهْزَلْنَاهَا] . يُقَالُ حَرَثْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْرَثْتُهَا بِمَعْنَى أَهْزَلْتُهَا . وَهَذَا يُخَلِّفُ قَوْلَ الْخَطَّابِيِّ . وَأَرَادَ مُعَاوِيَةُ بِذِكْرِ نَوَاضِحِهِمْ تَقَرُّرِيْعًا لَهُمْ وَتَعَرُّرِيْعًا لَأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ زَرْعٍ وَسَقَى فَأَجَابُوهُ بِمَا أَسْكَتَهُ ؟ ؟ تَعَرُّرِيْعًا بِقَتْلِ أَشْيَاخِهِ يَوْمَ بَدْرٍ .

(هـ) وَفِيهِ [وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ حُرَيْثِيَّةٌ] هَكَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ . قِيلَ : هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى حُرَيْثٍ : رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ . وَالْمَعْرُوفُ جَوْ نَيْسَةَ . وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي الْجِيمِ